

أنا وأنت على الطريق

## ختان الإناث

هل عرفت يا سيدتي أن سنة ٢٠٠٣ قد أطلقت عليها مصر سنة الفتاة المصرية؟ أجل فلقد أطلقت مصر سنة ٢٠٠٣ برنامجا طموحا لمحاربة ختان البنات المحظور رسميا منذ عام ٩٧. إلا أن هذه المسألة مازالت تُعتبر من المحرمات التي تمس غالبية عظمى من المصريين.

ولقد استقبلت مصر أنذاك مؤتمراً عربياً أفريقيا نظّمته المفوضية الأوروبية والمجلس القومي للطفولة والأمومة برئاسة السيدة مبارك. وقالت دينا النجار مسؤولة المؤتمر في برنامج الأمم المتحدة للتنمية، الشريك في المشروع، يجب كسر جدار الصمت وإيجاد حوار قومي من أجل منع انتقال ختان البنات إلى الأجيال اللاحقة. وأضافت أن هناك خلطا كبيرا على صعيد الأفراد الذين لا يعرفون أصول الختان ولا عواقبه الطبية والنفسية والاجتماعية له، موضحة أنه يمارس في العالم العربي في السودان ومصر واليمن بسبب علاقات هذه الدول مع أفريقيا حيث تم استيراد هذه العادة مع فكرة أنها تحمي عذرية الفتيات وكانت وزارة الصحة المصرية قد قررت بموجب مرسوم حظر ختان البنات عام ٩٧ وأيد ذلك مجلس الدولة مستنداً إلى القانون الجنائي الذي يمنع مس الجسد البشري باستثناء الضرورات الطبية. لكنه لم يحدد ختان الإناث بشكل واضح. وأوضحت دينا النجار أن من يخالف القانون يواجه بعقوبة أقصاها ثلاث سنوات سجن. ولكن يجب تفهم أن من يمارسون هذه العادة بدافع الحب لبناتهم إنما يصغون إلى قلوبهم وليس للقانون. وأكدت أم أيمن العاملة في تنظيف المنازل في القاهرة والمنحدرة من بني سويف أنها تستعد لإرسال ابنتها بسمة تسعة أعوام إلى البلد لكي تخضع للختان مؤكدة دون أي شعور بالعييب لأنه هكذا عشنا دائما.

أما ربة المنزل شهيرة في الخمسينات من العمر، فتروي أن الأمر كان عبارة عن "طقوس في عائلتنا كنا سعداء، بنات أعمامي وأنا، عندما يصل الدور إلينا لأن ذلك يؤكد أننا بلغنا مرحلة الكبر. وأضافت بصوت يعتريه الندم: لكن عندما اقترحت عملية الختان لبناتي رفض زوجي الطبيب ذلك.

وقد أكدت نقابة الأطباء معارضتها ختان البنات . لكن بعض الأطباء لا يتردد في ممارستها مقابل أرباح طائلة. إذ إن عمليات كهذه قد تحقق لهم دخلا مقداره ٢٠ ألف جنيه شهريا أي ما يعادل ٣٢٠٠ دولار شهريا.

وتمارس عادة ختان البنات لدى الأديان كافة. وأفادت آخر الدراسات الصادرة عام ٢٠٠٠ أن حوالي ٩٧% من المصريات خضعن للختان. إلا أن هذه الأرقام مبالغ فيها وغير مطابقة للواقع.

أتعلمين يا سيدتي السبب الذي من أجله تتحمل الفتاة في بعض بلداننا العربية هذه الممارسة في الجسد؟ يقال إن الحفاظ على عفة الفتاة هو الدافع وراء هذه العادة المتبعة. وعليه تبقى الفتاة طاهرة بحسب عُرْفهم والسبب لأنها لن تعود تقع في مخالف الشهوات. ولا يعرفون يا سيدتي أنه عندما تُجرى هذه العملية على الفتاة فهم يجرّدونها من كل ما منحها الله الخالق إياه. ولو أراد سبحانه وتعالى بأن تكون الفتاة على هذه الشاكلة أما كان يخلقها من الأصل مجردة من العواطف والأحاسيس والميول؟

والأمر المثير للانتباه هو أن الأهلين يقومون بتنفيذ هذه الإجراءات على البنات وهم يتسلحون بدافع الحب لبناتهم. وهم يصغون بالتالي إلى قلوبهم وليس إلى القانون. وهل الحب يجعلهم يحافظون على بناتهم عن طريق هذه الممارسات البربرية يا سيدتي؟ حتى ليتم فيهم القول ومن الحب ما قتل؟

لكن ماذا عن الأجيال الجديدة يا سيدتي؟ هل تتبع هي الأخرى العادات والطقوس دون تحليلها ومحاولة فهمها؟ هل تتبع الأجيال الجديدة هكذا وبشكل عفوي تلقائي هذه العادات المسيئة لجسد الفتاة ولنفسها ولشخصيتها دون أي حوار ولا جدال ولا مناقشة؟ وهل سأل الأهلون البنات فيما إذا كانوا حقا يريدون أن تمارس هذه العادة الشنيعة عليهم أم لا؟ أم أن الأمر صدر عن آبائنا الأقدمين وما علينا نحن إلا تنفيذه؟

سيدتي ، حبذا لو أننا نعود إلى كلمة الله المقدسة ونتعلم مما يريد الله لحياة البشر أجمعين ليس البنات فقط بل الرجال أيضا. إذ لم يميّز الله قط بين بنت وولد بين شاب وشابة بين رجل وامرأة، بل كانت شريعته ووصاياه منذ القديم هي لكل بني البشر دون تمييز. فهو الذي منحنا الوصايا العشر والتي من بينها ينهي الإنسان كل إنسان عن الزنى فيقول: لا تزن... لم ينه البنات عن ارتكاب الجنح والمعاصي والاندفاع بشهوتها إلى ما لا يحمد عقابه، بل أنهى الإنسان بشكل عام عن الزنى. وهذا بالطبع ينطبق على شقي الخليقة الرجل والمرأة. لهذا جاء عقابه واضحا أيضا حين طلب أن يرحم الرجل والمرأة حين يوجد مجتمعين معا في فعل الزنى.

ومن هنا نتعلم يا سيدتي أن منظور الله للبشر هو غير منظور البشر لبعضهم البعض. أليس كذلك؟ فإله القدوس هو الله العادل والحق . هو الذي قال للإنسان لا تزن. وهو الذي يقتص من الإنسان حين يخطئ ويزني. هو البار والقدوس الذي يكره الخطية أنهى الإنسان عن ارتكاب الخطية. ليس البنات فحسب بل كل إنسان بغض النظر عن جنسه ولونه وعرقه. وعندما يرتكب هذا الإنسان المعصية والخطية فإن الله عادل ولا بد أن يعاقبه عنها. يعاقب الإنسان الرجل والمرأة سواء.

فبأي منظور ننظر يا ترى؟ لماذا نسمح للشباب ما لا نسمح للفتاة القيام به؟ أليس شرف العائلة الصحيح هو أن تربي العائلة أولادها جميعا بحسب كلمة الله وشريعته المقدسة؟ ومتى نتعلم أن ننظر بمنظار الله إلى شقي الخليفة؟ فنهب لحماية بناتنا وأولادنا كليهما من كل شر وخطية؟ والشرف الشرف هو أن نعيش أمام الله وأمام الناس بلا لوم، وليس أمام الناس فقط.

\*\*\*\*\*